الإسلام والبيئة

اعـــــداد
Hussein A. Amery

تمهيد :

تهدف دراسة هذا الموضوع إلى وصف وشرح المنظور الإسلامي لإدارة الموارد الطبيعية ، وبتركيز خاص على مورد المياه . ويمكن القول أن ما يتعلق بالثقافة أو الدين في هذا الصـدد (أي إدارة الموارد الطبيعية) يعتبر غائبا تماما عن دراسات وكتابات معظم الباحثين الأكاديميين المتعلقة بالموارد الطبيعية وقضايا البيئة . رغم ذلك فقد أوضح أحد الباحثين المهتمين بتلك الأمور " أدى كاستريو " ، أن مصطلح البيئة يمتد ليشمل جميع الاعتبارات البيولوجية والفسيولوجية والاقتصادية والثقافية ، والتى تتصل ببعضها البعض في نفس البناء الايكولوجى المتغير باستمرار .

ومما لا شك فيه أن القيم الثقافية الإنسانية تؤثر على أسلوب فهم واستخدام وإدارة البيئة والموارد الطبيعية . ومبادئ إدارة المياه التى تتنبه إلى فحوى ومضمون العقائد المحلية ، يحتمل أن تكون أكثر تأثيرا وفاعلية من المبادئ الأجنبية التى يتم استيرادها من الخارج . أكثر من ذلك ، أنه يوجد فى البلدان الإسلامية مبادئ لإدارة المياه مستمدة من تعاليم الدين الإسلامى ، تلك المبادئ يمكن استخدامها كإطار لإدارة الموارد الطبيعية الأخرى . لذلك فإن المسلمين وغير المسلمين يحتاجون إلى استعراض المنظور الإسلامى المتعلق بالبيئة الطبيعية ، والتى تلعب فيها موارد المياه دورا محوريا .

والتعاليم الإسلامية تحوى مناخا خصبا لتطوير مبادئ إدارة المياه ، ربما إذا أمكن استغلاله بالتزامن مع سياسات إدارة المياه الأخرى ، ومع مراعاة المتغيرات الثقافية والديموجرافية ، لحازت تلك المبادئ قبولا أوسع من المبادئ غير المحلية . وقد يكون من الممكن تشجيع تلك المبادئ من خلال تطبيق نظام " الثواب والعقاب " والذى يرد تفصيلا فى القرآن والحديث .

إن الهدف الأسمى للمسلمين هو النجاة من عذاب الآخرة . وقد عرفت إحدى المعاجم العربية الإســلام بأنه " الثبات على الالتزامات ، وتجنب المحرمات " . والجذور العربية لكلمة إسلام تتمثل فى كلمة " سلام " وهى تعنى السلام والتوافق (معجم المنجد ١٩٩٤ ، ص ٣٤٧) . لذلك فإن منهج الحياة الإسلامى يستلزم العيش فى سلام ، والتوافق على المستوى الفردى والاجتماعى ، والايكولوجى ايضا .

والتفاعل بين البيئة والانسان يوجد بداخل البيئات النشطة زمانيا ومكانيا وثقافيا. بناء على ذلك فمن الهام والضرورى أن تشتمل استراتيجيات إدارة الميـاه على عناصر الثقافة والدين المحلية . والقرآن الكريم يتضمن العديد من الإشارات إلى المياه وما يتصل بها ، وقد ورد ذكر المياه فى القرآن الكريم ٦٣ مرة ، كما ورد لفظ " نهر أو أنهار " ٥٢ مرة . كما وردت تعبيرات أخرى مثل ينابيع ، عيون ، أمطار ، سحاب ، رياح ، ثلج . أيضا ورد ذكر الجنة التى يؤمن المسلمون أنها جزاء المؤمنين ، وقد وصفت الجنة باحتوائها على كل ما يمتع الإنسان ، ومن ضمن ذلك الأنهار الجارية . إضافة إلى ذلك فإن القرآن قد تضمن بين آياتــه ما يشير إلى أهمية المياه ومكانتها حيث يقول الله عز وجل " وجعلنا من الماء كل شئ حى " ، وهو بذلك يشهد بمركزية المياه بالنسبة للحياة ككل ، وكوسط لتعايش جميع الكائنات أيضا . ومع وضع الإدراك الإسلامى للأهمية المحورية للمياه فى الاعتبار ، فإن أدوات الإدارة التى يمكن أن توسع المناهج التقليدية لإدارة المياه ، لتمتد وتشمل مناهج غير تقليدية وثقافية ودينية ، يحتمل أن تكون أكثر نجاحا فى بلدان العالم الإسلامى .

وفى الإسلام ، يلاحظ أن الخط الإرشادى لعملية التفاعل بين الإنسان والبيئة يتمثل فى مفهوم أن الإنسان يعتبر خليفة الله على الأرض . وقد ذهب الفيلسوف المسلم " على شارياتى " إلى أن الأبعاد الدينية مثلها مثل الأبعاد المادية ، حيث تتجه جميعها نحو الغاية الفريدة لمفهوم الخليفة . وقد ذهب البعض إلى أنه على الرغم من أننا كآدميين نعتبر شركاء متساوون فى كل ما تحتويه الطبيعة ، إلا أننا بكل تأكيد لا نعتبر الإله أو السيد لتلك الطبيعة ، ولكن بالأحرى الصديق أو الحارس عليها . وفى تفسير معنى الخليفة ، قال البعض أن الخليفة هو المسلم الذكر البالغ ، الذى يتمتع بالعدل والقدرة على الاجتهاد ، والدراية بأمور الحرب ، والذى يجب عليه أن يقيم حدود الله ، ويحقق العدالة والسلام بين الناس . كما يجب أن يقف بجانب المظلوم ، ويمنع الفاحشة . ولا شك أن المهارات التى كانت تعتبر أساسية بالنسبة لمن يتولى منصب الخليفة منذ ١٤ قرنا من الزمان ، وحيث كان المسلمون تحت وطأة التهديد المستمر ، لم تعد أساسية حاليا ، كالدراية بأمور الحرب مثلا .

والإسلام يحرم انتهاك حقوق الآخرين بوصفهم خلفاء على الأرض ، وذلك فى ضوء المبدأ الراسخ فى القانون الإسلامى الذى يحض على حسن النية . وقد ورث الإنسان الأرض وما عليها ، وانتقل هذا الإرث من جيل إلى جيل ، وكل جيل له الوصاية على ذلك الإرث ، وليس لأحد تلك الأجيال الحق فى تلويث الأرض أو استهلاك مواردها الطبيعية بحيث تنتقل إلى الجيل التالى وهى مجرد تركة ملوثة ، أو مجردة من خيراتها . بمعنى آخر يمكن القول أن مصطلح الخليفة يشير إلى حقيقة مؤداها أن الموجات المتتالية من البشرية سوف تستمر فى إستخلاف بعضها البعض وفى توراث الأرض وما عليها .

إن القرآن يحث المؤمنين على عدم الفساد فى الأرض ، ويبين أن الفساد قد ظهر فى البر والبحر بسبب ما اقترفه الناس بأيديهـم ، وأن الله قد يذيقهم بعض ما فعلوا ، ليرجعوا عما يقومون به شرور" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون[1] " . وعندما يتسبب الناس فى انتشار الفساد ، فإن الله يعاقبهم بجزاء من نفس نوع العمل الذى اقترفوه . والفساد يعنى أيضا أخذ شئ ما على غير حق، أو إفساد أو تجريد الموارد الطبيعية . وقد عرفه البعض بأنه أى فعل يفسد الوظيفة الأساسية للتنظيمات الطبيعية فى الحياة ، دون اعتبار لما إذا كان قائما على اختيار الناس أم لا . إن الفساد يخلق حالة من عدم التوازن ، تتهدد بناء عليها الحياة الإنسانية وما يجب أن تكون عليه من سعادة واستقرار :

" قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين * فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون * من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون * ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين * ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون[2] ".

[1] سورة الروم . الآية رقم ٤١ .

[2] سورة الروم . الآية ٤٦:٤٢ .

والفساد لا يرتبط بزمان ولا مكان محدد ، بل هو ظاهرة عالمية كونية . وقد أشير فى القرآن الكريم إلى الفساد فى بيئتى الأرض والبحر ، ومع ذلك فمن المبرر أن يمتد مفهوم الفساد ليشمل ما يمس كل مكونات النظام الإيكولوجى ، حيث قرر القرآن الكريم أن الله هو خالق السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى " الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا[٣] " ، " له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى [٤]" .

لذلك فإن التعاليم الإسلامية تأمر المسلمين بتجنب الفساد ومنعه ، حيث يمكن أن يتسبب فى الاستغلال غير الضرورى للموارد الطبيعية بما فيها المياه . هذا المنظور يتضح بشكل خاص فى العقيدة الإسلامية التى تجعل العالم تابعا نافعا للإنسان . والإنسان مخول للانتفاع بالبيئة الطبيعية بالشكل الذى يفى باحتياجاته اللازمة للبقاء . فمثلا نجد أن الله عز وجل قد قرر أنه يمكن للإنسان أن يستخدم الموارد لسد حاجته من الغذاء بشرط ألا يطغى وإلا تعرض لغضـب الله " كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى [٥]".

وهكذا يلاحظ أن الضوء الأخضر الذى يمنحه الله عز وجل للإنسان لاستخدام المياه ، وغيرها من الموارد الطبيعية مشروط بأن يكون الإنسان فى استغلاله لها حكيما غير مفرطا . فيجب عليه أن يوظفها ويوجهها إلى ما تستقيم معه حياته وتستمر . والمستخدمين الحاليين للمياه والموارد الأخرى لابد من أن يتجنبوا الإضرار بها ، حتى يمكن أن تؤدى تلك الموارد دورها وتفى باحتياجات أجيال الحاضر والمستقبل . لذلك يمكن القول أن الإنسان لديه الرخصة فى التحكم وإدارة الطبيعة دون إضرار .

[٣] سورة الفرقان . الآية رقم ٢ .

[٤] سورة طه . الآية رقم ٦ .

[٥] سورة طه . الآية رقم ٨١ .

ومن ثوابت الدين الإسلامى ضرورة أن يضع الإنسان فى اعتباره احتياجات أجيال الحاضر والمستقبل ، فقد ورد فى الحديث الشريف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أوصى الإنسان بأن يعمل لحياته كأنه يعيش أبدا ، وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا " اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت ابدا ، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدا[٦] " . ومضمون الحديث أن الناس يجب أن يعملوا ويفكروا فى أجيال المستقبل كما ولو كانوا أحياء ومستخدمين لتلك الموارد ، فالواجب على المرء ألا يسرق احتياجات أجيال المستقبل .

والمسلمون مأمورون بألا ينتهكوا حرمة مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، وأن يقوموا بجميع التزاماتهم تجاهه سبحانه وتعـالى " يأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد * يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا ءامين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعــدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب[٧] " .

وفى العديد من النصوص نجد أن المياه وغيرها من المخلوقات تعتبر بمثابة إشارات . وقد قررت النصوص القرآنية أن تلك الإشارات موجهة لمن يفكر ويسمع ويرى ويشعر من الناس ، وأن ذلك بغية أن يتوجه الناس بالشكر للخالق ، وبالتالى فلابد ألا ينتهك الإنسان تلك النعم الإلهية " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى احياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير[٨] " ، " والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون[٩] " .

والتعاليم الإسلامية تشير إلى أنه إذا نال أحد الأجيال غش من الجيل السابق ، فلا يجب عليه أن يقوم بالمثل مع الأجيال التى تليه . وهكذا نجد أن الإسلام يأمر المسلمين بأن يصححوا الأوضاع البيئيـة الفاسدة من خلال ضبط سلوكياتهم التى قد تضيع أو تلوث المياه .

---

[٦] الموسوعة الحديثية المصغرة . تخريج السيوطى عن ابن عمر

[٧] سورة المائدة . الآية رقم ١ : ٢ .

[٨] سورة فصلت . الآية رقم ٣٩ .

[٩] سورة النحل . الآية رقم ٦٥ .

إن المسلمين المتورطين فى الفساد مذنبون ، وانتهاكهم للبيئة يعتبر تمزيقا لعهدهم مع الله عز وجل " الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون [١٠]". هذا العهد الذى بدأ مع إبراهيم عليه السلام وذريته . لذلك فإن تعمد انتهاك تعاليم الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان معرضا لعقاب الله والحرمان من رحمته ونعمه .

مما سبق يمكن القول أن المنظور الإسلامى للبيئة يرقى إلى درجة التقديس ، فكل شئ يعتبر من الأهمية بمكان ، ومرتبط بغيره . ويمكن القول أن مجال البيئة يشتمل على العديد من الحقوق ، ومن ضمنها حقوق المياه " الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون[١١] "، وقد قرر القرآن أن الحيوان والطير تشكل مجتمعات مثلها مثل الإنسان تماما " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون [١٢]" . كما أشار إلى أن جميع أنواع النبات لها رزقها من الماء الذى ينزله الله " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[١٣]".

الماء إذن هو عطية الله المتاحة لجميع مخلوقاته ، يأخذ منه كل منهم وفقا لاحتياجاته . وهذا يفضي بنا إلى أن حق المخلوقات غير الآدمية فى الماء الكافى يقترن به أن يكون هذا الماء جيدا حيث أن الماء ينبغى وأن يكون صالحا للزراعة والشرب .

أولا ـ الثواب والعقاب فى الإدارة الإسلامية للمياه

وعد الله سبحانه وتعالى المسلمين الذين يساعدون الحيوان بالثواب ، وتوعد من يؤذون تلك المخلوقات الضعيفة بالعقاب . والمسلمون يؤمنون أن الحسنات يذهبن السيئات والعكس " وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين[١٤] " . والمقياس الذى يتحدد بناء عليه الثواب أو العقاب يعتمد على نية المرء . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن من رأى منكرا

[١٠] سورة البقرة . الآية رقم ٢٧ .

[١١] سورة البقرة . الآية رقم ٢٢ .

[١٢] سورة الأنعام . الآية رقم ٣٨ .

[١٣] سورة فاطر . الآية رقم ٢٧ .

[١٤] سورة يوسف . الآية رقم ١١٤ .

فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لـــم يستطـع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[١٥] ".

والنصوص القرآنية التى توجه المسلمين إلى هذا السلـوك عديدة " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون[١٦] " . ومن الدراج أن يدعو المسلم فى صلاته بأن يجنبه الله الفاحشة والمنكر والبغى ، ومصطلح المنكر يمكن تفسيره بحيث يمتد ليشمل الشر والخبث والأذى ، من ثم فإن تلويث وتخريب الموارد الطبيعية يعتبر محرما ومجرما ، حيث يمثل ظلما لأجيال الحاضر والمستقبل ، وجورا على قدرتهم على الوفاء باحتياجاتهم .

وموارد المياه وعد الله بها المسلمين الذين يتقون ويطيعون أوامر مالك السماوات والأرض ، والذين طالما أطاعوا الطريق المستقيم الذى رسمه لهم الخالق سبحانه وتعالى، فقد جنبوا أنفسـهم الشقاء ".... فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى[١٧]" ، " فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١٨] " . وغياب الشقاء كما يصوره القرآن الكريم يتمثل فى عدم معاناة الناس من الجوع أو العطش ... الخ " . لذلك فالشقاء يشير إلى العقوبات الحياتية وليس الأخروية . تلك العقوبات تمثل الحافز بالنسبة للمسلمين حتى يتجنبوا الإضرار بالبيئة ، وتحثهم على اتباع التعاليم التى يشير إليها دينهم ، والمتعلقة باستخدام وإدارة موارد المياه .

والله سبحانه وتعالى يعد المسلمين الأتقياء بالمياه الوفيرة " وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا[١٩] " . ويقرر عز وجل أنه لو آمن البشر به وخشوه حق خشيته لفتح عليهم بجميع أنواع البركات من السماوات والأرض " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون[٢٠] ". ويذكر الله المسلمين بأنه وحده الذى ينزل المطر " ونزلنا من السماء ماء

---

[١٥] الموسوعة الحديثية المصغرة . تخريج السيوطى عن أبى سعيد .

[١٦] سورة النحل . الآية رقم ٩٠ .

[١٧] سورة طه . الآية رقم ١٢٣ .

[١٨] سورة البقرة . الآية رقم ٣٨ .

[١٩] سورة الجن . الآية رقم ١٦ .

[٢٠] سورة الأعراف . الاية رقم ٩٦ .

مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد[٢١] " . كما يخاطب الله عز وجل الناس سائلا إياهم: من الذى سوف يرزقهم بالمياه إذا ما جفت المياه الموجودة حاليـا ؟ " قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين[٢٢] " . وقد ذهبت العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة إلى تذكير المسلمين بأن الموارد التى يستهلكونها يوميا يتحكم فيها الخالق وحده . ذلك الأمر ينعكس بشكل واضح فى سلوكيات المسلمين وفى العبارات التى يرددونها باستمرار ، مثل عبارة إن شاء الله ، فمشيئة الله عز وجل ضرورية للبشر وجميع المخلوقات حتى يحصلوا على الموارد اللازمة لحياتهم .

إن نظام الثواب والعقاب إنما وضع للحث على الإكثار من الحسنات فى مقابل السيئات . فعلى سبيل المثال نجد أن السيئة تحسب لمقترفها كسيئة واحدة ، فى حين يكافأ المحسن بعشرة أمثال ، بل ويصل إلى سبعمائة مثل عن كل حسنة يقوم بها " قال الله تعالى : إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة[٢٣] " . ويصف القرآن الكريم غير المؤمنين بأنهم " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون[٢٤] " ، لذلك فإن تطبيق تعاليم الإسلام بما فيها التعاليم البيئية يعتبر الطريق الذى يستطيع الناس من خلاله التزود بإمدادات المياه . وقد يفسر ذلك سبب رجوع الناس إلى الله عند حدوث الكوارث والمصائب وإرجاعهم إياها إلى عدم التقوى سواء على المستوى الفردى أو المجتمعى .

ومفهوم الرزق يتردد كثيرا فى القرآن الكريم ، ويشير إلى كل ما هو ضرورى لاستمرار وتطور الحياة فى جميع مراحلها الطبيعية والروحانية " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون[٢٥] " ، " ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا

---

[٢١] سورة ق . الاية رقم ٩ .

[٢٢] سورة الملك . الآية رقم ٣٠ .

[٢٣] الموسوعة الحديثية المصغرة . تخريج السيوطى عن أبى هريرة

[٢٤] سورة البقرة . الآية رقم ١٦: ١٧

[٢٥] سورة البقرة . الآية رقم ٢١ : ٢٢ .

ولا يستطيعون[٢٦] " ، " أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور[٢٧]". والله سبحانه وتعالى هو مصدر الرزق ، والمسلمون مطالبون بعدم الاعتراف بأية أمور تحمل معنى الشرك بالله كالأوثان والشعر والفن والعلم والافتخار بالثروة ، إن المسلمين مطالبون بعدم المغالاة فى القيم المادية أو الأبعاد التكنولوجية التى تحتويها الحياة الحديثة ، حيث أن تلك الأمور من الممكن ان تلهيهم عن ذكر الله وعبادته .

والمسلمون يؤمنون أن من يخشى الله لابد وأن يتبع تعاليمه وإرشاداته ، ويتجنب الوقوع فى الهوى ، ويحرص على فعل الحسنات وتجنب السيئات ، حتى يحظى بثواب الله . والحسنات يجب أن تكون فى نطاق قدرة المسلم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية حتى يمكنه القيام بها ، وعند القيام بها يجب أن يتم ذلك على أساس منظم . لذلك فالمؤمنون يعتقدون تماما أنه لا ينبغى القلق على المستقبل حيث أن رزقهم يمكن أن يأتيهم من حيث لا يتوقعون " ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا [٢٨]" ، " والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا[٢٩] " .

والمسلمون الذين اقترفوا فيما سبق انتهاكات للتعاليم الإسلامية يمكن أن يتوبوا إلى الله بصدق ، ومن يخلص فى عبادته وإيمانه سوف يجازى ويثاب من الله " إلا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما[٣٠] ".

والله سبحانه وتعالى باعتباره مالك هذا الكون فهو أيضا المسؤول عن إدارته ، ولن يمنع الله الماء أو أية موارد عن خلقه ، والله يثيب الخلق المؤمنين سواء ماديا أو معنويا ، وقد يكون الثواب فى الدنيا أو فى الآخرة ، وثواب الدنيا يتمثل فى البقاء دون قلق ووفرة المياه وباقى موارد الرزق .

ثانيا ـ مؤسسات إدارة المياه الإسلامية

---

[٢٦] سورة النحل . الآية رقم ٧٣ .

[٢٧] سورة الملك . الآية رقم ٢١ .

[٢٨] سورة الطلاق . الآية رقم ٣ .

[٢٩] سورة النساء . الآية رقم ٥٧ .

[٣٠] سورة النساء . الآية رقم ١٤٦ .

إن الرسالة البيئية التى يوجهها الدين الإسلامى تتمثل فى أن الناس يجب أن يتجنبوا تراكم الثروات المادية ، والذى يمكن أن يقودهم إلى الغرور وبما يمزق استمرار ودوام الرزق . وفى نفس الوقت يدرك الدين الإسلامى ضعف النفس البشرية ، لذلك فقد وضع نظام الحسبة . وعلى مدار فترات عديدة من التاريخ الإسلامى شملت الحسبة العديد من القضايا الأخلاقية التى تمس الحياة اليومية . واليوم لم يعد هناك وجود للبعد الأخلاقى للحسبة ، إلا فى بلدان قليلة كالسعودية وإيران والسودان .

والدعامة العقائدية للحسبة تتمثل فى التوجيهات القرآنية التى تؤكد على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[٣١] " ، وايضا المبدأ الراسخ فى الشريعة الذى يقضى بعدم الضرر . والشخص الذى يتولى أمر الحسبة يطلق عليه المحتسب ، ومن ضمن المهام التى يناط به القيام بها ضمان السلوك المناسب للناس فى أنشطتهم العامة ، يشمل ذلك الموارد ذات الصلة والمخلوقات غير البشرية . مثلا يفترض أن يمنع المحتسب التعرض للحيوانات بالأذى ، وأن يحمى ويدير الأراضى ، وينظم استخدامات المياه . وقد ذكر الامام إبن تيميه أن أهم الكفاءات التى يجب أن يتمتع بها المحتسب الخبرة والعطف والصبر .

الخلاصـــة :

إن التعاليم الإسلامية التى تدعو إلى الاستخدام الرشيد لموارد المياه حتى يمكن الوفاء باحتياجات الإنسان واستمرار حياته ، يمكن تلخيصها فى عبارة " إدارة الطلب ". ووفقا لما أورده الدين الإسلامى ، فإن الناس يمكنهم التحكم فى الطبيعة واستخدام مواردها ، لكن من غير المسموح به أن يفسدوا ويتلفوا ما خلقه الله . ومن المفترض أن استراتيجية إدارة المياه التى تتضمن عناصر ثقافية ، يمكن أن تكون مؤثرة وبقوة . وصانع القرار يمكنه الولوج إلى العقيدة الإسلامية بحثا عن وسيلة لإعداد وتنفيذ استراتيجية إسلامية لإدارة المياه . وبالنسبة للمسلمين تتمثل تلك الوسيلة فى تطبيق الشريعة والتعاليم الإسلامية ، والتى تعتبر وبحق مشجعة فى مجال المياه .

ومبادئ إدارة المياه فى الشريعة الإسلامية يمكن استخدامها بشكل منفرد ، أو بالاتحاد مع المبادئ غير الدينية ، مثلما حدث فى الأردن مع مطلع عام ١٩٩٠ لحث المواطنين على الحفاظ على موارد المياه النادرة . ووجود سياسة مائية إسلامية يمكن أن يكون له أثره فى إيجاد بدائل ورؤى وأنظمة غير تقليدية . أضف إلى ذلك ، أن الإدارة

[٣١] سورة آل عمران . الآية رقم ١٠٤ .

المستدامة للمياه فى الدول الإسلامية يمكن أن تحوز قبولا ونجاحا كبيرا ، إذا ما تضمنت أدوات الإدارة بعضا من الحوافز مثل الجوائز التشجيعية الدينية والمادية .

إن استراتيجيات إدارة الطلب ذات البعد الثقافى تتطلب جهدا مضنيا فى مجال التعليم المائى ، وترسيخ الأفكار التى تؤكد الصلة الوثيقة بين الإسلام والحفاظ على المياه.

ومن الممكن جعل الجوائز التشجيعية على المستوى الفردى أو المجتمعى ، لتعليم الدارسين وبما يتوافق مع ثقافاتهم وأنظمتهم العقائدية . فإذا ما تم تطوير المبادئ الإسلامية لإدارة المياه ، وجب أن تنتقل من مستوى المبادئ الدينية والأكاديمية لتصل إلى مستوى العوام . وجميع المبادئ الإسلامية لإدارة المياه يجب أن تتجه لتغيير سلوكيات المسلمين فى حياتهم . وقد وضع الله سبحانه وتعالى المسلم فى اختبار ، حتى يرى كيف سوف يستخدم موارده الطبيعية ، وهل سيطبق ويتبع مبادئ صيانة المياه وحماية نوعيتها أم لا ، ومن يفعل ذلك فإن ثوابه عند الله . ومن يعصى فإن الفرصة أمامه للتوبة وإلا تعرض لعقاب الله فى الدنيـا وفى الآخرة .

ما نود أن نقوله أن الإنسان يعتبر جزءا لا يتجزأ من الطبيعة ، وحيث أن تلك الطبيعة تشمل البيئة الطبيعية والموارد المائية ، فمن الواجب عليه أن يتعامل معها بصفته مشرف عليها وليس كما يفعل الغزاة المعتدين . إن العديد من بلدان العالم الإسلامى تواجه تهديدات مائية ، فالبعض يعانى من الجفاف ، والبعض الآخر يشكو من الفيضانات ، ونوعية المياه الرديئة .....الخ . وإذا لم يتم الانتباه إلى تلك التهديدات فى إطار ثقافى ذو معنى ، فمن المحتمل أن يتحول الموقف إلى الصراع والنزاع . إن القواعد الإسلامية التى تنظم علاقة الإنسان بالبيئة ، ونظام الثواب والعقاب الموجود فى الإســـلام ، تتفق جميعها تماما مع تعريف كلمة " البيئة " ، تلك الكلمة التى تمتد لتشمل الطبيعة والإنسان والثقافة ، وأيضا مبدأ المعاملة بالمثل . بمعنى آخر فإنه وفقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فإن البيئة ليست ظاهرة كونية ساكنة بحيث يمكن التعرض لها دون تأثير يذكر .